

الحلقة الثالثة عشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

هل تظن مستمعي أن تدين الإنسان يكفي لكي يجعله ينال رضى الله؟ هناك فكرة شائعة عند الكثيرين أن الإنسان المتدين الذي يصلي يومياً، ويؤدي فرائضه الدينية من صوم وحج للأماكن المقدسة، ويعطي من أمواله للفقراء والمحتاجين، لا بد أن يحظى برضى الله وغفرانه. لكن إلى أي حد هذا الكلام صحيح؟ وهل إن الله يقبل الإنسان بمجرد تدينه وقيامه بالفرائض الدينية؟ وهل إن الله عندما نقف جميعاً أمامه سيضع في الميزان تديننا وأعمالنا الصالحة في كفة، مقابل ما قمنا به من أعمال شريرة في الكفة الأخرى؟ أجابنا المخلص المسيح عن هذه التساؤلات عندما قال:

« لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصْرِحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ! » (بشارة متى ٧: ٢١-٢٣).

لنلاحظ قول المخلص المسيح أنه ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. أي ليس كل من يكون متديناً، ويقوم بكل الفرائض الدينية يستطيع أن ينال رضى الله، ويدخل بالتالي إلى ملكوت السموات. وهنا نرى بوضوح أن المسيح هو الذي سيدين الناس يوم الدينونة الأخير. وأضاف المسيح قائلاً: أن كثيرين سيقولون لي في ذلك اليوم، يا رب أليس باسمك تنبأنا وأخرجنا شياطين و صنعنا قوآت كثيرة؟ وهنا ستكون الطامة الكبرى عندما سيجيبهم المسيح قائلاً: إنني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم.

لماذا سيجيب المخلص المسيح هؤلاء الناس الذين قالوا أنهم يدعونه، لا بل تنبأوا وصنعوا عجائب كثيرة باسمه أنه لم يعرفهم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم؟ وللجواب نقول: لأن هؤلاء الناس لم تكن لهم علاقة روحية تربطهم بالله، ولم يتعرفوا على المخلص المسيح. بل كانوا مجرد أناس متدينين. ولعل الأمر المهم جداً الذي سيقوله لهم: اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. إذن إن السبب الرئيسي

لرفض المسيح لهم، ليس أنهم لم يتعرفوا عليه شخصياً فقط، بل لأنهم ظلّوا عبيداً للخطية. وهذان الأمران مترابطان، لأنه لا نستطيع أن تكون لنا علاقة شخصية بالمخلص المسيح إذا لم نتحرر أولاً من خطايانا.

ونستطيع تشبيه الفرق بين الناس المتدينين وبين الذين لهم علاقة شخصية بالمخلص المسيح، بهواة الموسيقى وعازفي الموسيقى. فهواة الموسيقى قد يطربون لسماع الموسيقى الجميلة، ويحدثوك عنها وعن نوع الآلات العازفة، لكنهم لا يستطيعون العزف. أي ليس لديهم صلة حقيقية بالموسيقى. هكذا الناس المتدينون يعرفون مظاهر التدين فقط، ويقومون بواجباتهم الدينية، لكنهم لم يختبروا التدين الحقيقي، أي العلاقة الشخصية بالله. وبالتالي لم يتعرفوا على المخلص المسيح شخصياً، ولم يختبروا خلاصه، ولم يتحرروا من عبودية الخطيئة. وهكذا لم ينالوا رضى الله وغفرانه.

فليس كل من يتكلم عن التدين ويمارس الفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج للأماكن المقدسة، ويقوم بأعمال الخير والإحسان، يصبح إنساناً متديناً حقاً، ويدخل إلى ملكوت الله. وليس مهماً أن نكون أناساً صالحين بنظر أنفسنا ونظر الناس الآخرين، لكن بنظر الله. إن ما يهم الله حقاً هو إقامة علاقة شخصية معه، والتحرر من عبودية الخطية. لعلّ السؤال الآن: كيف باستطاعة الإنسان أن يقيم هذه العلاقة مع الله والمخلص يسوع المسيح، وأن يتحرر بالتالي من عبودية الخطيئة وينال غفران الله ورضاه؟

صديقي المستمع، أجل كيف باستطاعتنا أن نقيم العلاقة مع الله والمخلص يسوع المسيح وأن نتحرر من عبودية الخطيئة وننال غفران الله ورضاه؟ وللجواب نقول: علينا أن نعترف أولاً أننا أناس خطاة، وأننا بالتالي في حالة عداوة مع الله القدوس. إن الله هو إله قدوس لا بل كلّي القداسة، وهو لا يستطيع حتى أن ينظر إلينا نحن البشر الخطاة، فكيف به يقيم علاقة معنا؟ لهذا علينا أن نزيل أولاً عائق الخطيئة الذي يقف حاجزاً بيننا وبين الله خالقنا. لكن لحسن حظنا أن الله هو الذي قام بإزالة هذا العائق وبطريقة لم يكن أحد يتصورها.

إن الله القدوس العادل يا صديقي هو أيضاً الله المحب. ولكي ينقذ الإنسان من عبودية الخطيئة، أرسل المخلص يسوع المسيح من السماء، وهو كلمته الأزلي المولود من روحه القدوس، وكلفه بمهمة الفداء. وهذا يعني أن يموت على الصليب عوضاً عنّا نحن البشر الخطاة، آخذاً عقاب خطايانا. ودعا الإنسان الخاطيء، لكي يؤمن بعمل التكفير هذا، أي لكي يؤمن بموت المسيح البديلي من أجله على الصليب. وعندما يؤمن أي إنسان بما قام به المخلص المسيح من أجله، يغفر الله ذنوبه، ويصبح باراً أمامه أي بدون خطيئة،

وهكذا يزول عائق الخطيئة الذي كان يقف حاجزاً بينه وبين الله. وتنتهي بالتالي العداوة بين الإنسان الخاطئ التائب والله. ولهذا كتب الرسول بولس قائلاً: « فَأَيْدُ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ (رومية ٥: ١). أي عندما يتبرر الإنسان الخاطئ بواسطة الإيمان بالرب يسوع المسيح وعمله الكفاري، يسود السلام بينه وبين الله وتنتهي العداوة.

ألا تود مستمعي أن تتال رضى الله وغفرانه؟ وأن تكون لك علاقة صحيحة به؟ لم لا تأتي الآن بالإيمان إلى المخلص يسوع المسيح الذي مات على الصليب للتكفير عن خطاياك. وهكذا تتحرر من ذنوبك وتتال الغفران عنها، وتتأكد من نوالك الحياة الأبدية.